الاختلاف بين النّظرية النّحوية العربية ونظرية النّحو التّوليدي التّحويلي

The difference between Arabic grammatical theory and generative transformational grammatical theory

إعداد

د. عبد القادر بن التواتي

Dr. Abdul Qadir Al-Tawati

جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر

Doi: 10.21608/jnal.2022.213611

الاستلام : ٧/ ١١ /٢٠٢١ **القبول : ٢٢ / ١١ /٢٠٢١**

التواتي ، عبد القادر (٢٠٢٢). الاختلاف بين النّظرية النّحوية العربية ونظرية النّحو التّوليدي التّحويلي. ***مجلة الناطقين بغير اللغة العربية*** ، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٥ (١٢)، ٦٣ – ٨٨.

الاختلاف بين النّظرية النّحوية العربية ونظرية النّحو التّوليدي التّحويلي

المستَخلص :

دراسة اللغة كظاهرة وكنظام ضوابط تناولها الكثيرون قديما وحديثا وظهرت دراسات متتابعة متنقلة بين أمة وأخرى انطلاقا من اليونان إلى الهنود وصولا إلى المسلمين وكلّ طرح مفاهيم حسب فلسفته ومرجعيته وبمنهج خاص، وفي العصر الحديث ظهرت عدة نظريات أشهرها البنيوية التي طرح فيها العالم دي سوسور تصورا جديدا قائما على اعتبار اللغة نظام يقتضي فهمه بمنهج علمي وصفي، ومن بعده توالت الدراسات المعمقة نذكر منها نظرية العالم الأمريكي نوام تشومسكي ونظرية النّحو التّوليدي التحويلي، والتي طرح فيها مفاهيم جديدة انطلاقا من فلسفة عقلية محضة، دفعت بعض اللسانيين العرب إلى الاعتقاد بأنها امتداد لما تركه علماؤنا المسلمون القدامى خاصة (الخليل وسيبويه)، نتيجة التقاطعات التي نجدها بين نظرية تشومسكي والتراث اللغوي العربي. فهذه الدراسة تبين الاختلافات الطبيعية بينهما، وأن تشومسكي وإن تقاطع في نظريته مع علمائنا القدامى ، وهو تقاطع طبيعي ، إلا أنه تفرد بمفاهيم جاء بها ولم يسبق إليها، لا قديما ولا حديثا، ثم إن منطلقات ومضامين ومفاهيم الأبحاث العربية القديمة عندنا تختلف تماما عما نجده في نظرية تشومسكي ، حتى وإن كان له شرف الاطلاع عليها وتقييمه لأهميتها.

الكلمات المفتاحية: اللغة- المنطلقات- الاختلافات.-التقاطعات

Abstract:

The study of language as a phenomenon and as a system of controls dealt with by many, in the past and in the present, and there have been successive studies moving between one nation and another, starting from Greece to the Indians to the Muslims. Considering language as a system that requires understanding it with a descriptive scientific method, and after that, in-depth studies followed, including the theory of the American scientist Noam Chomsky and the theory of transformational generative grammar, in which he put forward new concepts based on a purely rational philosophy. It led some Arab linguists to believe that it is an extension of what our ancient Muslim scholars left, especially (Hebron and Sibawayh), as a result of the intersections that we find between Chomsky's theory and the Arabic linguistic heritage. This study shows the natural differences between them, and that

Chomsky, even if he intersects in his theory with our ancient scholars, and it is a natural intersection, but he singled out concepts that he brought and did not precede them, neither ancient nor modern. Moreover, the premises, contents and concepts of the ancient Arabic researches we have are completely different from what we find in Chomsky's theory, even if he had the privilege of reading it and evaluating its importance.

مرجعية الدرس اللغوي:

أ-النظرية النحوية الخليلية.

إنّ المنطلق الأول للدّراسة عند الخليل وسيبويه، ونوام تشومسكي لم يكن واحدا، فالخليل وتلميذه سيبويه لم يكملا عملا علميا قام به علماء سابقون، بل كان بحثا جديدا لم تعرفه ولم تبلغه العرب، لذلك يمكن تصنيفه على أنه إبداع واكتشاف، هذا على اعتبار أن الخليل لم يطلع على أبحاث غيره من الأمم السّابقة وإن كان بعض المستشرقين والباحثين العرب وعلى رأسهم شوقي ضيف يعتقدون أن الخليل تأثر بالتراث اليوناني، وذهبوا إلى أن الخليل أخذ ترتيبه الصوتي من المعاجم اليونانية، وأن لا فضل له في ذلك، وحجتهم أن الخليل عرف اليونانية، وأن الخليل تلقى عن حنين بن إسحاق ما ترجمه من تراث اليونان، وعندما بحثت عن هذا الرجل (حنين بن إسحاق) ، وجدت أن كتب التأريخ والترجمة تعج بحياته وبمواقفه، خاصة ترجمة العلوم اليونانية ففضله كبير، وهذه أهم التعاريف بالرجل قال الزركلي: ابن حنين (٢١٥ - ٢٩٨ ه /٨٣٠- ٩١٠ م) إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي: طبيب مترجم أفاد العربية بما نقله إليها من كتب الحكمة وشروحها[١].-حنين بن إسحاق.أبو زيد العبادي النصراني البغدادي الطبيب.له مصنفات في الطب مشهورة منها:المسائل في مجلدين.هلك سنة٢٦٠[٢].

تعليق:

أما بالنسبة للتعريف فقد ذكر صاحبه أن حنين بن إسحاق(٢١٥ - ٢٩٨ ه = ٨٣٠ - ٩١٠ م)، والمشهور أن الخليل بن أحمد ولد سنة ١٠٠ه وتوفي سنة ١٧٠ه أو١٧٥ه، فكيف يعقل أن الخليل تلقى عن حنين، وهو قد توفي -رحمه الله- قبل ولادته ب٤٠ سنة،وقيل إن حنين هذا ولد سنة(١٩٤ - ٢٦٠ ه = ٨١٠ - ٨٧٣ م)، ومع ذلك يبقى متأخرا عن الخليل بسنوات طوال، والأكثر من ذلك قوله: إن حنين أخذ العربية عن الخليل،وهذا غير مقبول للسبب نفسه أيضا.فالملاحظ أن الخليل لا علاقة له بهذا الرجل

[١] - الزر كلي - الأعلام - ج/١ ٢٩٤

[٢] - معجم المؤلفين ٤ /٨٧

إطلاقا، وقد يكون حنين أفاد من تراث الخليل بعد وفاته، عن طريق تلامذته..لأن هذا الرجل جاء في فترة الانفتاح الكلي على حضارات الأمم الأخرى، خاصة مرحلة الترجمة التي ابتدأت بولاية هارون الرشيد وأبنائه، ومن جاء بعدهم[٣].ونأخذ بما ذهب إليه الحاج صالح قال:ولد اسحاق بن حنين بعد وفاة الخليل بتسع سنوات ، مما يعني أنه ولد سنة ١٨٤هـ، فهو لم يلتق الخليل بن أحمد ولا تلميذه سيبويه، وإنما اطّلع على تراثهما القيّم مثله مثل بقية الدّارسين لهذا التراث قديما وحديثا.

إن الدّراسات اللغوية العربية في بدايتها من حيث المنطلق والأسباب التي أوجدتها ودعت إليها كضرورة وحتمية، فرضت نوعا من المنهج الخاص وفق مراحل: كجمع المدونة وتصنيفها،ومن ثم استقرائها وتحليلها وتفسيرها.فإذا أخذنا فقط منهج العرب في جمع اللغة ألا نجد كل مواصفات الباحث العلمي الدّقيق في مجال بحثه من خلال التّثبت والتّحرز والدّقة والموضوعية التي يقتضيها العلم .ألم يتفق الجامعون على تحديد رقعة الفصاحة أولا ثم الإجماع على مَن تُقبل لغته وفصاحته من القبائل العربية، فأجمعوا على قيس وأسد وتميم وبعض كنانة وهذيل ولم يأخذوا ممن جاوروا الأعاجم لمجرد المجاورة لا أكثر، مع أن التأثير غير حاصل بالضرورة.هل هذا أيضا عرفوه من غيرهم من الأمم الأخرى. جاء أبو الأسود الدؤلي إلى زياد ابن أبيه وقال: إني أرى العرب قد خالطت الأعاجم وفَسَدَتْ ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم[٤].

ثم أخذ النّحو يتطور، ليصبح علماً له أصوله وأحكامه ومعلوم أن لكل علم مصطلحات هي بمثابة أوعيتة ، فمن أين استمد العربي وهو ابن الصحراء هذه المصطلحات ؟؟

لم يكن الموقف سهلاً أمام علماء العربية ،إذ قنوات الترجمة عن الأمم الأخرى لم تشقّ بعد، بالإضافة إلى أن العلوم الأخرى لم تُرْس قواعدها ،حتى يستعار منها، وتنقل مصطلحاتها إلى النحو ولكن الأمر يُحلّ بالعودة إلى موجودات البيئة العربية ومسمياتها، ففيها المدد وعليها المعتمد، وهذا الإجراء تقتضيه حياة العربي، فقد عرف عن العربي الاستعانة بمظاهر الطبيعة، يستمد منها مسميات لأمور معنوية تعترضه، من أدلة ذلك ما

---

[٣]- والنص يشير إلى ذلك: واتصل بالمأمون فجعله رئيسا لديوان الترجمة، وبذل له الأموال والعطايا.وجعل بين يديه كتابا نحارير عالمين باللغات، كانوا يترجمون، ويتصفح حنين ما ترجموا فيصلح ما يرى فيه خطأ.ولخص كثيرا من كتب أبقراط وجالينوس وأوضح معانيها.
وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية من الكتب، فكان يختار لكتبه أغلظ الورق، ويأمر كتابه يخطوها بالحروف الكبيرة ويفسحوا بين السطور...

[٤] - ياقوت الحموي ومعجم الأدباء (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا، تا) مج٦، ج ١٢ ص ٣٥ .

كان يفعله عند تسمية ما يُولد له قال الثعالبي: وكان بعضهم إذا ولد لأحدهم ولد سمّاه بما يراه ويسمعه مما يتفاءل به فإن رأى حجراً تأوّل فيه الشدّة والصلابة والصبر والبقاء، وإن رأى كلبا تأوّل فيه الحراسة والألفة وبعد الصوت، وإن رأى نمراً تأوّل فيه المنعة والتِيهَ والشكاسة، وإن رأى ذِئباً تأوّل فيه المهابة والقُدرَة والحشْمَة[٥].

من هذا الحقل اللغوي المادي، اقتلع علماء العربية مصطلحات نحوهم، فإذا بهم يستمدون من رفع الخيمة اسم الرفع ومن انتصاب أسبابها اسم النصب ،ومن البيان اسم الإعراب والذي يرجح ذلك ما وصف به ابن خلدون عمل علماء العربية، وهم يقعدون قواعدهم قال:ثم رأوا تغيُّر الدّلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغيُّر عاملاً وأمثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيّدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها[٦]

ب-نظرية النحو التوليدي التحويلي.

أما تشومسكي فإن نظريته ما هي إلا امتداد لسابقيه من الباحثين سواء من عاصرهم من أمثال فرانز بوعزر وبلومفيلد وزليغر هاريس، وروزنتال في أمريكا أو ما توصل إليه اللسانيون الأوروبيون من أمثال دي سوسور[٧]وحتى الفلاسفة السّابقون من أمثال ديكارت وهمبولت، فأبحاثه العلمية هي امتداد لما توصل إليه

هؤلاء،وإن خالفهم في المنهج والتّصور وحتى النتائج، فإن أثرهم كبير لأنه لم ينطلق من لاشيء بقدر ما انطلق من كل شيء، حتى التّراثيات اللغوية السّابقة بما فيها التّراث العربي، وهذه أدلة تثبت ذلك يقول تشومسكي: قبل أن أبدأ بدراسة اللّسانيات العامة كنت اشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية. وما زلت أذكر دراستي

---

[٥] - الثعالبي : فقه اللغة وأسرار العربية (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لا، تا) ص ٢٤٠ -٢٤١.

[٦] - محمّد كشّاش-مصطلح النحو العربي *بين* الأصل المادي والتطور الدلالي -مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد ٦٨ - السنة السابعة عشرة - آب "أغسطس" ١٩٩٧ - ربيع الآخر1418 ،ص:٤/٣

[٧] -(وإن كان تشومسكي لا يعترف بفضل دي سوسور عليه، لكن فضله حسب رأي ثابت، لأن دي سوسور مجرد فصله بين علم اللغة التاريخي وعلم اللغة الوصفي يكون بذلك قد خدم اللسانيات العامة (الأوروبية والأمريكية) بهذا المنطلق والمرجعية العلمية التي وجهت الدرس الوجهة الصحيحة وكل ما توصل إليه اليوم وفي المستقبل في البحث اللساني يعود الفضل فيه إلى دي سوسور)

للأجرومية[٨] منذ عدة سنوات خلت، أظن أكثر من ثلاثين سنة، وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال Franz Resenthal الذي يدرّس الآن في جامعة يال yale University لقد كنت وقتذاك طالبا في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانياUniversity of Pensylvania وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري الذي نشأ في بعض ما كنت قد قرأته من تلك الفترة ولكنني لا أشعر أنني كفء للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث[٩].

هذا النص أُخذ من الحوار الذي أجراه الدكتور مازن الوعر مع العالم اللساني تشومسكي، وهناك دليل آخر لنفس الباحث العربي مازن الوعر يقول :إنه لا غرابة أن نرى عالماً لسانياً أمريكياً معاصراً هو نوم تشومسكي يقف وقفة دهشة وعجب من التراث العربي اللغوي النحوي والدلالي، عندما قرأ وعلّق على عملٍ لسانيٍّ كنتُ قد تقدمت به كرسالة للدكتوراه. ففي رسالة بعثها إليّ في ٢٦ نيسان ١٩٨٢ قال فيها:إنه من الواضح أن هذه الدّراسة هي دراسة جدّية ورائعة ومهمة فقد غطت منطقة واسعة من البحث اللساني وشملت أفكاراً هامة جداً. لقد دهشت بشكل خاص من تلك التعليقات اللغوية التي وردت في ثنايا هذه الدراسة والتي كان قد قالها العرب القدامى. إن هذا وحده يجعل هذه الدراسة إسهاماً قيماً جداً لتطوير الدراسات اللسانية الغربية بغض النظر عن العمل اللساني المطبق على التراكيب العربية والذي يبدو مهماً جداً[١٠].

أما الدليل الواقعي الثاني فقد نقله الدكتور جاسم علي جاسم قال:ومن خلال حديث شخصي مع الباحث الدكتور أحمد المتوكل أستاذ الدلاليات الحديثة في قسم اللغة الفرنسية في جامعة محمد الخامس في الرباط كان قد قال لي: بأنه أرسل رسالة الدكتوراه التي وضعها والتي تدور حول النظرية الدلالية عند العرب القدامى إلى عالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي وقد كان تعليق تشومسكي عليها في رسالة بعثها إلى الدكتور المتوكل) بأن ما قاله العرب القدماء في حقل الدلاليات يعد فكراً فلسفياً عميقاً لا بد من الأخذ به في الفكر الدلالي المعاصر وقد وعد

---

[٨] -الأجرومية:هو كتاب مختصر مشهور في النحو العربي لمؤلفه ابن آجروم(**القرن الثامن الهجري**) ونقل إلى اللاّتينية في القرن ١٦ الميلادي

[٩] -(مجلة اللسانيات-مجلة محكّمة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر-معهد العلوم اللسانية والصوتية سابقا، مركز الأبحاث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية حاليا)العدد ٦ السنة ١٩٨٢ ص:٧٢

[١٠] - قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث مدخل: الوعر، مازن- دمشق- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- الطبعة الأولى،1988م. ص٣٥٩-٣٦١.

تشومسكي المتوكل بأنه سيعتمد هذه النظرية في الأعمال التي سيقوم بها في المستقبل[١١].

ومن هنا يجب أن نعترف بأن النظرية التوليدية التحويلية هي وليدة عدة تراثات ودراسات سابقة متعدّدة ومختلفة المنطلق والمورد، ولا حرج في ذلك.لكن يجب أن نعترف هنا أن هناك فرقا بين من يُوجد و يكتشف الظاهرة، وبين من يجتهد داخل الظاهرة الموجودة مسبقا!!

٢-المدوّنة اللغوية.

أ-النظرية النحوية الخليلية.

إن الحديث عن المدوّنة اللغوية العربية يجرّنا إلى الحديث عن جمعها أولا، ثم الحكم عليها.

عرفنا أن سبب جمع اللغة ودراستها بمنهج علمي استقرائي رياضي كان بسبب انتشار اللحن في الألسن الناطقة للغة القرآن الكريم لذلك فكروا في تقعيدها، وكانت عملية الجمع وفق منهج تشدّد فيه الجامعون على درجة التضييق في رقعة الفصاحة حتى تبنى القاعدة على الصحيح من كلام العرب لا الدّخيل ، وكان هناك طرق ساهمت لامحالة في تأكيد غايتهم العلمية.

-إن أوّل علاقة بين اللغويين والبدو في ديارهم كانت في القرن الثاني، ولا نستطيع أن نضبط مدّة كلّ رحلة إذ أن آخذي اللغة لم يكونوا يُولُونَ أهمية إلى الوقت ولا للمشقة، وإنما همهم الوحيد هو الاستفادة بقدر المستطاع، ويمكن تقدير الرحلات للتحقيقات اللغوية عند العرب أنّها كانت تدوم عدّة أسابيع بل عدة أشهر، وآخذ اللغة يتجوَّل من حي عربي إلى حيّ آخر، ومن قبيلة إلى أخرى مُتَحَيِّنًا كل الفرص التي تحقق له أثناء رحلته مراده، فقد يكون الأخذ في المسجد، وقد يكون في حفل زفاف، وقد يكون أثناء امتحان نبوغ الصبيان في الشعر إلى غير ذلك من الفرص.

---

[١١] - جاسم علي جاسم -تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي – معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية- المقال موجود في الموقع الإلكتروني لصاحبه jjassem@hotmail.com، أنظر أيضا تشومسكي في عيد ميلاده السبعين :المزيني، حمزة بن قبلان- صحيفة الرياض السعودية- الخميس ١٤٢٠/١٠/٢٧هـ، و 25/8/1420هـ. ص: ٤ / ٣.والعنوان الالكتروني هو

و http://www.hmozainy.jeeran.com/tshomesky4.htm

ص:٣. http://www.hmozainy.jeeran.com/tshomesky2.htm

فإذا أخذنا الوسائل المستعملة في الأسفار تحقق لدينا أن الرحلة كانت تدوم مدة ليست بالقليلة. وفي سبيل هذه الغاية النبيلة وتحقيقها أطالوا الوقوف، والمراقبة، والموازنة، واحتملوا من العناء والمشقة ما لا يحتمله إلاّ العاملون الصابرون فاعتمدوا على السّماع والتدوين من العرب الفصحاء، يذهبون إليهم في البوادي ويحتملون أقسى المتاعب في ذلك ليأخذوا من أفواههم كلمة أو يسمعوا منهم بيتا أو شرحا أو يتلقوا عنهم شفها طرائق النطق وصياغة الكلام وقد يأخذون من الأعراب المتاخمين للمدن إذا ثبت لديهم أن لغتهم ما زالت سليمة وقد طبقوا أرقى المناهج العلمية التي يستعملها علماء اللغة في العصر وكانوا سباقين إلى استحداث هذه المناهج ولم نقل فندا إذا قلنا: عن هؤلاء أخذت المناهج العلمية في ميدان علم اللغة.

-إن تحديد رقعة الفصاحة أهم جزء في العملية التاريخية، فالجامعون كما يقول الفاربي في أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف:كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس، وتميم،وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علما وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب.[١٢]وهنا نقف على منتهى الدّقة العلمية والتّثبت للوصول إلى ما يثلج الصدر.

[١٢] - المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي ، ١٦٧/١-١٦٨

(الخريطة تبيّن مضارب ومنازل القبائل العربية لشبه الجزيرة وهي مأخوذة من مجلة اللسانيات والصّوتيات قديما)

ومن هنا توفر للباحثين اللغويين مدوّنة لا مثيل لها من كلام العرب (شعرا ونثرا) اجمعوا على صحته، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك القرآن الكر يم على المصحف الذي أسموه (مصحف الإمام)، ثم أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بجميع أحاديث النبي- صلى الله عليه وسلم- فجمعت وضبطت بمقاييس معلومة لا يسعنا الحديث عنها.

وهنا حقيقة مهمة ذكرها الحاج صالح وهي:لم يتوفر لأمة في التاريخ أن أخذت لغتها من المشافهة المباشرة للفصحاء من العرب مثلما كان لهذه الأمة يقول الحاج صالح:إن علماء اللغة العرب هم أول من قام في التاريخ بتدوين اللغة بالسماع المباشر في عين المكان للناطقين بها وقد تعرضوا لكل أو لأكثر قبائل العرب، وكان ذلك على مراحل وعلى مقياس فصاحة أفرادها وهي عندهم صفة الذي لا ينطق إلا بلغة منشأة ولم تتغير لغته...ومرجعهم هو القرآن وكل الناطقين السليقيين بهذه اللغة[١٣]

وما نستخلصه مما سبق التالي:أن هذه المدوّنة اللغوية الواقعية الملموسة الصحيحة الفصيحة، استنبط منها اللغويون الأحكام الخاصة وهي المرجع الأساسي في عمليات القياس وكل مجال من مجالات التقعيد الإنساني والعلمي.

ب-نظرية النحو التوليدي التحويلي.

[١٣] - عبد الرحمان الحاج صالح – السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة-، ص:الأخيرة

أما اللغة عند تشومسكي فهي واقع آخر مخالف تماما لما رأيناه في الدراسات اللغوية العربية، فهو يرى في اللغة نظام فطري في الإنسان، وتتمثل رؤية تشومسكي للغة في أن الطفل عندما يولد يكون مزودا بنظام لغوي معين، وهي بعيد كل البعد عن مبدأ الاكتساب والدليل على ذلك الأطفال فإن اكتسابهم اللغة ليست عملية محاكاة خالصة، بل هي عملية إبداعية فطرية ولذلك الفارق بين الطفل والحيوان الذّكي (كالشمبانزي) في اكتساب اللغة يختلف يقول محمد عماد الدين إسماعيل: إن إحدى الخصائص التي تميز الإنسان عن الحيوان، هي قدرته على تعلم اللغة وما يرتبط بها بذلك من فدرة على التفكير، و يعترف التجريبيون الذين يدعون أنهم قد علموا الشمبانزي والغوريلا شيئا قريبا من اللغة الإنسانية، أن تلك الحيوانات التي دربوها لم تستطع أن تكتسب اللغة بالطريقة التي يكتسبها الأطفال[١٤] مما يعني أن الطفل يختلف عن الحيوان في أنه مزود بنظام لغوي، عكس الحيوان فإنه لا يتوفر على هذا النظام ولا يمكنه الوصول إليه ولو بالتجربة.

ومن هذا المنطلق برزت نظرية التشومسكي التي تتحدث عن فطرية اللغة، في مواجهة نظرية المعرفة لبياجه ونظرية المحاكاة لسكنر، فتشومسكي يعرض لنا نظريته، بوجود مكانزمات أولية للصياغة اللغوية، فلأطفال في رأيه يولدون ولديهم نماذج للتركيب اللغوي تمكنهم من تحديد القواعد النحوية(قواعد التركيب اللغوية) في اية لغة يمكن أن يتعرضوا لها، فهناك عموميات في التراكيبات اللغوية linguistic universals تشترك فيها جميع اللغات، كتركيب الجمل من أسماء وأفعال مثلا، هذه العموميات هي التي تتشكل منها النماذج الأولية المشار إليها، وهي أولية بمعنى أن الطفل لا يتعلمها بل هي تمثل لديه قدرة أولية على تحليل الجمل التي يسمعها، ثم إعادة تركيب القواعد النحوية للغته الأم هذه القدرة تمكن الطفل من أن يقوم بتكوين جمل لم يسمعها قط من قبل وقد يفعل ذلك إما بشكل صحيح تماما من البداية وغما بشكل يكون على الأقل
مفهوما ومقبولا من ناحية الآخرين[١٥]،

ومن هذا المنطلق نجد الاختلاف بيّن بين النظريتين، فشتان بين لغة سليقية مدوّنة في كل مقاصدها التبليغية (التواصلية من خلال الخطابات المنقولة عن العرب أو

[١٤] - محمد عماد الدين إسماعيل -الأطفال مرآة المجتمع- علم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- العدد ٩٩، يناير السنة١٩٩٠ص:٨٧

[١٥] - محمد عماد الدين إسماعيل -الأطفال مرآة المجتمع- علم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- العدد ٩٩، يناير السنة١٩٩٠ص:١٠٧/١٠٨

الفنية من شعر ونثر.وحتى المشافهة منها.ولغة مثالية بعيدة تماما عن الواقع الملموس، فنظرية تشومسكي هي مجرد تصور نستطيع أن نقول أنها(فسلفية)، ثم إنها نظرية مثل باقي النظريات التي تتحدث عن نشأة اللغة، وبالتالي قد تكون صحيحة وقد تكون خاطئة، والحقيقة أن نظرية المحاكاة أكثر واقعية منها.

٣-الغاية وهدف :

أ-النظرية النحوية الخليلية.

تُنسب بداية الدرس اللغوي العربي إلى أبي الأسود الدؤلي: (٦٩هـ) بإجماع العلماء وكان ذلك بسبب تفشي اللحن والتحريف الذي طرأ في تلاوة (القرآن الكريم) وقيل:أول من تكلم في النّحو أبو الأسود الدؤلي وسبب ذلك أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له:يا أبت ما أشد الحر متعجبة ورفعت (أشد) فظنها مستفهمة فقال: شهر ناجر فقالت:يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك فأتى علي بن أبي طالب ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب ويوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل فقال له وما ذاك فأخبره خبر ابنته فقال هلم بصحيفة ثم أملى عليه:الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم رسم له رسوما فنقلها النحويون في كتبهم.[١٦]

وقال ابن الأنباري: حدثني أبي حدثني أبو عكرمة قال: قال العتبي: كتب معاوية إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن فرده إلى زياد وكتب إليه كتابا يلومه فيه ويقول: أمثل عبيد الله يضيع؟ فبعث زياد إلى أبي الأسود فقال له: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله فأبى ذلك أبو الأسود فوجه زياد رجلا وقال له: اقعد في طريق أبي الأسود فإذا مرّ بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمّد اللحن فيه ففعل ذلك فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته فقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُه﴾بالجر فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ثم رجع من فوره إلى زياد فقال: يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن فابعث إلي ثلاثين رجلا فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس فقال خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد: فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف فإذا كسرتها فاجعل النقطة من أسفل الحرف فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين". فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك...[١٧]

---

[١٦] - ابن الأثير-المثل السائر- ٣٠/١

[١٧] - السيوطي- سبب وضع علم العربية -ص: ٣٦-٣٩

إن كلام أبي الأسود الدؤلي يدعو إلى التأمل، ويحتاج إلى فضل بيان لما فيه من ملاحظات هامة تمس البداية الأولى لوضع قانون يضبط اللسان العربي ويصونه من الانحراف، فلعل أبا الأسود هو أوّل من وصف عضوا من أعضاء الجهاز الصوتي أعني الشفتين عند إخراج هذه الحركات، ومن وضع الشفتين عند التلفظ بهما أخذ أبو الأسود أسماء هذه الحركات، ففي الفتحة تفتح الشفتين، وفي الضمة تضمان ثمّ تكسران عن الكسرة.ونلاحظ أن مصطلحات البناء (فتح ضم ، كسر) قد أخذت من قول أبي الأسود هذا إذ أنه أول من يذكرها عند وصف الشفتين إلاّ أن كثيرا من الباحثين يقولون :إن وضع مصطلحات البناء هي من اختراع الخليل بن أحمد[١٨]وعلى هذا القول فنحن أمام احتمالين:

(أ)-إما أن تكون ألقاب من اختراع الخليل بن أحمد، ولكنه نظر في قول أبي الأسود قبل أن يخترعها وفي هذا يكون أبو الأسود قد ألقى قوله هذا وصفا للشفتين دون قصد منه إلى تعيين حركات البناء.

(ب)-وإما أن يكون أبو الأسود هو الذي اخترعها عند وصف وضع الشفتين عند النطق بالحركات.

والمرجح هو الاحتمال الأول إذ أن أبا الأسود ﷺ لم يكن يفكر في وضع مصطلحات بهذه الدّقة المعروفة عند النحاة،

وإنما كان هدفه وغايته هي وضع شيء يسلم قارئ القرآن من اللحن أما أن يضع مفهوما علميا دقيقا كما عرف بعد فهذا يستحيل ، وهذا يؤدي في النهاية إلى أن أبا الأسود مطلع على نحو ما واقتبس منه هذه المصطلحات، ثمّ هناك أمر آخر يؤيد ما ذهبنا إليه وهو عدم ذكر السكون عند النطق؛ لأن كلّ ما في الأمر أن أبا الأسود كان همه الوحيد سلامة النطق.

وما يهمنا في هذا المقام، هو ما نخلص إليه لمعرفة الغاية والهدف من الدراسات اللغوية العربية فنقول: إن الغاية والهدف هي خدمة القرآن الكريم من خلال صَونه من اللحن، ومنه خدمة العربية التي هي لسانه بوضع مجموعة من القوانين التي تحفظ اللسان الناطق بها من الزيغ واللحن، لكن طبيعة اللغة العربية بغناها وتشعّب لهجاتها واختلاف قراءتها القرآنية فرضت نوعا من الدراسة المعقدة والطويلة، فأخذت جهدا غير قليل، وتجاوزت في زمانها أجيالا وأجيال ومازالت تبتغي المزيد.

ب-نظرية النحو التوليدي التحويلي.

أما نظرية تشومسكي فهي عكس الدراسات العربية تبغي أكثر من ذلك، فهي تسعى إلى إيجاد قوانين تنضوي تحتها كل اللغات مهما تعددت ومهما كان مصدر تفرعها

[١٨] - مفاتيح العلوم ، الخوارزمي ، ص : ٤٤

يقول الدكتور إبراهيم كونغ الجو :إن هدف المدرسة التوليدية التحويلية الأساسي هو العمل على تكوين نظرية لغوية شاملة Universal تنتظم عموم اللغات في العالم[١٩]والتمييز بين ما يخص لغة معينة وبين ما يخص اللغات بصورة عامة.وقد قسم تشومسكي الشمولية اللغوية إلى جزءين. أولهما:كلية منطقية أو شاملة منطقية (Formal Universal) وهي عبارة عن مبادئ عامة تحدد صورة القواعد وشكلها وطريقة عملها من خلال النظم النحوية لعدة لغات معينة. والآخر شاملة ثابتة (Substantive Universal) وهي عبارة عن شاملة تحدد نظما من العناصر التي تتصور أو تشكل في قواعد معينة.ويرى تشومسكي مثلا أن النظرية التوليدية التحويلية تقترح شاملة منطقية باعتبار أنواع القواعد في النحو، وعلى حين أنها تعتبر طبقا للنظرية اللغوية العامة- عناصر كلية ثابتة[٢٠]..

ويبدو أن هناك مشروعا أو تصورا عميقا يسعى إليه تشومسكي لاحتواء كل اللغات في نظام نحوي كلي وفق منظومة لغوية شاملة ودقيقة يقول:يبدو أن المسالة الأكثر صميمية في النظرية اللسانية تتمثل في تجريد فرضيات وتعميمات انطلاقا من نماذج نحوية خاصة تستوفي شرط الملاءمة الوصفية، وهي فرضيات وتعميمات تحمل بعد ذلك –كلما كان الأمر ممكنا-على النظرية العامة المتعلقة بالبنية اللغوية، فيتم بذلك إغفاء النظرية وإدخال المزيد من الهيكلة على ترسيمه الوصف النّحوي.فكلما قمنا بشيء من هذا القبيل سنكون قد استعضنا عن حكم من الأحكام الصادقة على لغة بعينها بحكم مقابل ينسحب على اللغة بصفة عامة،فيصبح الحكم الأول عبارة عن نتيجة من نتائج الحكم الثاني وإذا ما كان حكمنا الفرضي الأعمق هذا مخالفا للصواب، فغن من شأن ذلك أن يبرز للعيان حينما نقيس مفعوله على مظاهر أخرى من مظاهر تلك اللغة أو من مظاهر لغات أخرى.وباختصار، فإننا نبدي إشارة، وهي من الوضح، بمكان، ألا وهي وجوب صياغة فرضيات عامة للعمل تتعلق بطبيعة اللغة وذلك كلما كان الأمر ممكنا، فرضيات نتمكن انطلاقا منها من استخلاص السّمات الخاصة المتعلقة بالنماذج النحوية لمختلف اللغات الخاصة[٢١].من هذا النص الطويل لتشومسكي

Rules can vary from language to language within constraints imposed by universal;but it is often assumed that

---

١٩ - N- chomsky&M.Halle,TheSound Pattern of English,P.4

٢٠ - إبراهيم كونغ الجو -رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات- مجلة اللسان العربي- دورية نصف سنوية، تُعنى بنشر الأبحاث اللغوية والدراسات المتعلقة بقضايا المصطلح والترجمة والتعريب، ومشروعات معاجم المصطلحات،المملكة المغربية،يونيو ٢٠٠١ص: 2 التمهيد.

٢١ - N.Chomsky,Aspects de le théorie syntaxique,p.68

conditions on rules must be invariant.This assu;ption is somewhat arbitrary.There is no priori not to assume [22]the opposite

نتوصل إلى معرفة الهدف البعيد لنظريته، وهذا أدى ببعض اللغويين المعارضين إلى الاعتقاد أنه يمكن حصر تركيبات معظم لغات العالم في ثلاثة أنماط رئيسية هي:(أي المسند إليه الفعل+المفعول+ الفعل)وأي(المسند إليه الفعل+ الفعل+ المفعول)، وأي(الفعل +المسند غليه الفعل+ المفعول)ويستعمل بعضهم بدل المفعول(التكملة):

ويعطي هذا الجملة الفعلية أو التي فيها المسند(الفعل)هيمنة عالمية كما أن هذه الحصر قد يعزز الفكرة التي تتبناها بعض الاتجاهات،وهي (النحو العام) وسعيهم لأن يضعوا نظرية لغوية شاملة للغات العالمية[٢٣] وما يمكن قوله أن هذه النظرية لم تكتف بمرجعيتها الفلسفية فإنها أيضا تهدف إلى غاية فلسفية، يصعب تحقيقها في ظل التطورات العلمية اللغوية فيما يتعلق بالمناهج الأخرى ناهيك عن خصوصية كل لغة، حتى وإن كانت هناك ثوابت مشتركة بين لغات البشر كافة. أو ما يعرف بنحو اللغات الطبيعية.

٤-الفرق بين اللغتين(العربية والانجليزية)

إن اللغة العربية هي لغة النّظرية النحوية الخليلية، والانجليزية لغة النظرية النحوية التوليدية التحويلية،

ولما كان الأمر كذلك فالمقارنة بينهما من حيث بعض الخصائص أمر واجب حتى يظهر لنا الفارق الكبير بينهما.

وأهم مظاهر الاختلاف بين النظريتين اللغة المدروسة، فاللغة العربية كانت محور الدراسة عند المسلمين، وأساس الاستنباط القواعدي لها، واعتبارها ركن من أركان التفسير القرآني، واعتبارها أيضا من اللغات السّامية التي تفردت بأهم خاصية وهي الإعراب، تختلف تماما عن اللغة الإنجليزية التي هي لغة فرعية، وإن كثر الناطقون بها.من حيث الخصائص كلها التي تميز لغة عن أخرى، وتشومسكي بنى نظريته على هذه اللغة لذى نقاط الاختلاف كثيرة بينهما.

أ-العدد

أ-	في اللغة الإنجليزية ←	(لا يوجد مثنى)
ب-	اللغة العربية يوجد به ←	(مفرد ومثنى وجمع)

22 - N.Chomsky,On WH.Movement"in Formal Syntas.Wasow;Culicover and Akamajian eds.Ndw York;AcademicPress;1977 ,p.75

٢٣ -حسن عبد الغني جواد الأسدي- مفهوم الجملة عند سيبويه-دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ،ط/١،السنة ٢٠٠٧،ص:٢٦٣

ب-التركيب

كما نعرف أن جمل اللغة العربية اثنتان هما:الجملة الاسمية والجملة الفعلية[٢٤]

ب-اللغة الانجليزية هنالك جملة واحدة فقط هي الجملة الاسمية[٢٥].

وهذا له تأثير حتى على مستوى تحليل الجمل، وإسقاط المفاهيم ولننظر إلى هذه الجملة: كارلوس بطل

نلاحظ أن هذه الجملة اسمية ولكن قلنا أنه لا يوجد جملة اسمية في اللغة الانجليزية إذا كيف سنترجمها إلى اللغة الانجليزية؟

الفاعل: كارلوس carlos

المفعول به:بطل a hero

للوصول إلى الفعل بإضافة اسم مفرد is, ⟶ he, she, it

اسم جمع are ⟶ you we they Am I ⟶

والأفعالis,are,am معناها يكون وماضيها was,were بمعنى (كان)

إذا تصبح الجملة: carlos is a hero

وضعنا:is لأن الفاعل اسم مفرد كارلوس carlos، وعندما نترجم ترجمة حرفية إلى اللغة العربية تصبح الجملة: (كارلوس يكون بطلا)، ولكن عندما نترجم هذا النوع من الجمل نحذف كلمة يكون فتصبح (كارلوس بطل)[٢٦]، وعليه فإن الاختلافات في النظام التركيبي الخاص بكل لغة يجعل تطبيق المفاهيم المستنبطة أمر مستحيل، كما الشأن في عدم الاستئناس بالمناهج اللسانية المطبّقة حديثا على اللغة العربية،ورأينا أنها من الإسقاطات الوهمية، وإن أفضت إلى بعض النتائج الجزئية الموجبة.

ج-مستوى جذر الكلمة.

-العربية تعمل على المحافظة على الشكل البنائي الأصل للفظ(الحدث) المأخوذ من أحداث الأسماء(أسماء الفاعلين) في تحقيقاته المختلفة فيما مضى وفي المضارع وفي

---

[٢٤] - أما الجملة عند ابن هشام فهي على ثلاثة أقسام لا اثنان فهي إما اسمية وإما فعلية وإما ظرفية . وقد سبق وعرفنا النوعين الأولين وأما الثالثة فقد عرفها ابن هشام بقوله :(والظرفية هي المصدرة بظرف أو المجرور نحو:أعند ك زيد ؟ و أفي الدار زيد،إذا قدرت زيدا فاعلا بالظرف-والجار والمجرور لا بالاستمرار المحذوف،ولا مبتدأ مخبر عنه بهما)-**ابن هشام، المغني،ص: ٤٩)**

[25]- Omar AL- Hourani –WWW.expressenglish.4t.com.Basics of English language. page15

[26]- Omar AL- Hourani –WWW.expressenglish.4t.com.Basics of English language. page15

الأمر وهو شيء قد لا يتحقق في كثير من اللغات بمثل الصرامة التي في العربية فالانجليزية مثلا تتخذ من المضارع الصورة الأكثر قربا للمادة الأصل تحدث مغايرة واضحة في بناء الماضي كما يظهر في المخططين الآتين[٢٧]:

للكلم العربية مُثُل أو صيغ ولكل واحد منها مدلول أو أكثر وتوجد في اللغات الجرمانية، ومنها الانجليزية، كلمات تتصرف في باطنها مثل الكلم العربية: وذلك:child وجمعه children وman وجمعه men وكذلك تصاريف الفعل في الانجليزية والألمانية أكثرها ينتقل من مدلول إلى آخر لا بزيادة لاحقة فحسب بل بإعادة بناء الكلمة على بناء آخر.وهذا لا تستطيع اللسانيات أن تفسره إلا بشيء كثير من التعسف، وقد بدأ بعض الباحثين في النظر في هذه الظواهر باختيار النظرية العربية[٢٨].

ومن مظاهر الاختلاف بين اللغتين، فإن العربية أكثر غناءً،وأفضل شمولا من الانجليزية من جهة تخصيص العدد والنوع، فالتعبير عن المخاطب مثلا في المذكر والمؤنث بمعنى:

١- أنتَ تلعب كرة القدم
٢- أنتِ تلعبين كرة القدم
٣- أنتما تلعبان كرة القدم
٤- أنتم تلعبون كرة القدم
٥- أنتن تلعبن كرة القدم

you play foot ball

١- أنتَ بطل
٢- أنتِ بطلة

you are a hero[٢٩]

وهذا يبين الفارق الكبير بين اللغتين مما يدخل في قواعد كل من اللغتين، إذ لا يكفي الاعتماد على مفاهيم تركيبية كالمسند والمسند إليه للحصول على توافق بين اللغتين أو كل اللغات لتخضع لنحو كلي.

٤-تطبيق النظرية.(الخليلية، والتشومسكية)

أ-النظرية النحوية الخليلية.

---

[٢٧] -حسن عبد الغني جواد ألأسدي- مفهوم الجملة عند سيبويه-دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ،ط/١،السنة ٢٠٠٧،ص:٨١

[٢٨] - عبد الرحمان الحاج صالح – بحوث ودراسات في اللسانيات العربية- الجزء الثاني ،ص:٥٤

[٢٩] - Omar AL- Hourani –WWW.expressenglish.4t.com.Basics of English language. Page:02

فيما يتعلق بهذا العنصر سيكون الأمر مجرد تصور خاص، مبني على جملة من الحقائق المتعلقة بالتّأثير والتّأثر، وأعتقد أيضا أنه جواب على سؤال مهم رَاوَد الكثيرين من الباحثين المحدثين، وهو تأثر صاحب النظرية النحوية التوليدية بالنحو الخليلي السيبويهي، والعكس غير صحيح بحكم السّبق الزّمني.

إن تأثر تشومسكي بالنحو العربي أمر معلوم خاصة أنه يعترف بدراسته لمتن الأجرومية مع أستاذه روزنتال في مرحلة سابقة من تكوينه العلمي، وهذا في الحوار الذي أجراه معه مازن الوعر وقد سبقت الإشارة إليه.لكن ما نقصده من هذا العنصر أمرين هما:

أ- هل اطلع تشومسكي على كتاب سيبويه؟

ب- وهل النظرية التحويلية التوليدية صالحة للتطبيق على اللغة العربية؟

أما إجابة السؤال الأول فهي اعتقاديه، مبنية على جملة من الاحتمالات المنطقية تفهم من النصوص المستقاة من بعض المراجع الأجنبية(روبنز)[٣٠]أو ذكره الباحثون العرب الذين التقوا تشومسكي كمازن الوعر أو الذين راسلوه كأحمد المتوكل والمزيني،عن حركة الترجمة التي قام بها اليهود للنحو العربي لتطبيق منهجه ومصطلحاته على اللغة العبرية.وأخرى مستقاة من دراسة نظريته ومقابلتها لنظرية الخليل وسيبويه، وهذا كله ليس الهدف منه إثارة قضية التأثير والتأثر وإنما تطبيق النظرية الخليلية على اللغة الانجليزية، وتطبيق النظرية التوليدية التحويلية على العربية والنتائج المتوصل إليها.

إن سيبويه العالم النّحوي البصري، لم يكن قليل الشأن في زمانه فإذا استعرضنا الحديث عن هذا الشأن، فيكفينا بضعة مواقف من مئات المواقف، تواترتها كتب التأريخ العلمي للنحو العربي،نذكر ما ذكره أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(٢٥٥)قال:أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك، ففكرت في شيء أهديه إليه، فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه، وقلت له:أردت أن أهدي إليك شيئا ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أر أشرف من هذا الكتاب، وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفراء، قال: والله ما أهديت إلىّ شيئا أحب إليّ منه) [٣١] فقد صار سيبويه إمام النحاة[٣٢]وعدّ النحاة كتابه " قرآن النحو" ، وقال أبو عثمان المازني (ت ٢٤٨ هـ) من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد

---

[٣٠]-..ومن بين هؤلاء القواعديين فإن أفراد أسرة (قمحي) معروفون جيدا بوصفهم أصحاب رسائل لغوية، وقبل ذلك كتب يهودي إسباني آخر هو ابن بارون، دراسة مقارنة للغتين العربية والعبري، انظر: موجز تاريخ علم اللغة في أوروبا- ه.ر.روبنز، ص:٢١٦

[٣١] - سيبويه - الكتاب- المقدمةج/١/ص:٢١.

[٣٢] - المصدر نفسه: المقدمةج/١ص:٨ /١٤.

كتاب سيبويه فليستح[٣٣] هذا ولا تخلو دراسة نحوية -قديما وحديثا- إلا ويعتمد صاحبها على الكتاب ، هذا شأن الدراسات العربية ، لكن ما يهمنا هنا أين كتاب سيبويه من الدراسات اللغوية الغربية؟.

ذكر المؤرخون الغربيون أن تاثير البحوث غير الأوروبية كان كبيرا وله أثر في فترة كانت الجهود كبيرة لتتبع التطورات النظرية التي أقامها القواعديون التأمليون على أسس القواعد اللاتينية، يقول روبنز: ولم تبدأ أعمال اللغويين غير الأوروبيين في التأثير في التراث الأوروبي فحسب ، ولكن لغات أروبا الحية بدأت تدرس منذ ذلك الوقت بشكل نظامي[٣٤] من جهة أخرى إذا رجعنا إلى ما ذكره الحاج صالح في قضية العامل يقول: وقد ترجم الأوروبيون في القرن الثالث عشر الميلادي مصطلح(regere) بمعنى عمل في اللفظ الإعراب، ومنها جاءت كلمة (rection) في النحو الأوروبي، ثم قلّ اهتمام اللسانيات بهذا المفهوم حتى أحياه تشومسكي باسم (Governement)وهي أيضا تسمية قديمة[٣٥] من هذين النصين، وباعتبار الفترة التي تحدث عنها روبنز، وهي فترة الاستعانة بالنماذج اللغوية لتقعيد اللغة، ودخول هذا المصطلح وغيره من المصطلحات نفهم أن تشومسكي استخدمه في نظريته، وقد فهمه من وظائفه الأصلية عند اطلاعه على كتاب سيبويه الذي كان ضمن المخطوطات التي ترجمها أفراد المجموعة التي أسسها (ألفريد دي ساسي) في ألمانيا والتي عنيت بالتراث اللغوي وغيره الذي تركه المسلمون في إسبانيا (الأندلس) ومن هنا يجرّنا الحديث عن حركة التّرجمة التي قام بها اليهود للنحو العربي، بهدف تطبيقه على اللغة العبرية للقرب بين اللغتين(العربية والعبرية لغتان ساميتان) يقول روبنز:أثناء العصور الوسطى المتأخرة كانت العربية والعبرية تدرسان في أوروبا، واعترف باللغتين كلتيهما رسميا في جامعة باريس في القرن الرابع عشر، وكانت اللغة العربية قد دخلت بقوة مجال اهتمام شعوب البحر المتوسط منذ عدة قرون سابقة، كنتيجة للتوسع السريع للقوة العربية وانتشار الدين الإسلامي في معظم أراضي الشرق الأدنى وشاطئ شمال إفريقيا ، وشبه الجزيرة الأيبيرية في القرنين السابع والثامن[٣٦].

هذه الدراسات برزت بشكل كبير في دراسة روجر بيكون R.Bacon قواعد اللغة العبرية وعرف العربية[٣٧].هذه الدراسات كانت سرية حيث كان المسيحيون خائفين من

---

٣٣ - سيبويه -الكتاب- المقدمة٢١/١.

٣٤- ه.ر.روبنز -موجز تاريخ علم اللغة في أوروبا- ، ص:١٦٩

٣٥ - عبد الرحمان الحاج صالح – بحوث ودراسات في اللسانيات العربية- الجزء الأول ،ص:٢٩٦ الهامش

٣٦- ه.ر.روبنز -موجز تاريخ علم اللغة في أوروبا- ، ص:١٦٩

٣٧- المرجع نفسه: ص:١٦٩

اتهامهم بالتصال بأعداء الكنيسة، وكان اليهود خائفين من اتهامهم بالتحول عن عقيدتهم[٣٨] ولعل سرية هذه الدراسات كانت سببا في عدم الاعلان عن آثار سيبويه والدرس النحوي بشكل عام.

نحن نريد بين هذه الحقائق، وما ذكره تشومسكي في الحوار .

نص الحوار: - السؤال الخامس: نعتقد نحن العرب أن الجهود التي بذلها اللغويون العرب في علم اللسان البشري في العصور المتقدمة إنما هي جهود مهمة أسهمت إلى حد كبير في بناء علم اللسان الحديث linguistics ما هي آراؤك حول هذه القضية؟

- الجواب:

قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت اشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية. وما زلت أذكر دراستي للأجرومية[٣٩] منذ عدة سنوات خلت، أظن أكثر من ثلاثين سنة، وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ روزنتال Franw Rosenthal الذي يدرس الآن في جامعة يال yale University لقد كنت وقتذاك طالبا في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانياUniversity of Pensylvania وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري الذي نشأ في بعض ما كنت قد قرأته من تلك الفترة ولكنني لا أشعر أنني كفء للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث[٤٠].

إن جواب تشومسكي يؤكد ما ورد في النصوص السابقة عندما قال :(وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري الذي نشأ في بعض ما كنت قد قرأته من تلك الفترة). يعني فترة الدراسة للغتين،أما عبارة (ولكنني لا أشعر أنني كفء للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث) فهي تعني الكثير فلو كان تشومسكي قد درس متن الأجرومية فقط لكان جوابه مختلفا،إذ متن الأجرومية تشمل الضوابط التعليمية النحوية للغة العربية، وما نجده عنج تشومسكي مفاهيم علمية دقيقة تتجاوز المفاهيم التعلمية، لكنه على ما يبدو قد تعمق كثيرا في التراث العربي لدرجة الاعتقاد بأنه درس كتاب سيبويه وما تبعه من دراسات قيمة عند ابن جني والجرجاني والرضي...يقول جاسم: فيجب علينا ألا نغفل دور اللغة العبرية وتأثرها

---

[٣٨]- المرجع نفسه: ص:١٦٩

[٣٩] -الأجرومية: هو كتاب مختصر مشهور في النحو العربي لمؤلفه ابن آجروم(القرن الثامن الهجري) ونقل إلى للآتنية في القرن ١٦ الميلادي

[٤٠] -مازن الوعر -حوار مع العامل اللساني تسومسكي(مجلة اللسانيات-مجلة محكّمة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر-معهد العلوم اللسانية والصوتية سابقا، مركز الأبحاث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية حاليا)العدد ٦ السنة ١٩٨٢ ص:٧٢

بالنحو العربي ومعرفة تشومسكي لها معرفة تامة؛ فهي الواسطة بين العربية واللغات الأوربية وخاصة الإنكليزية لتأثر تشومسكي بها.

من جهة أخرى فإن تشومسكي بقي متابعا للتطور العلمي اللغوي عندنا من خلال بعض الباحثين العرب كمازن الوعر فقد ذكر هذا الرجل: إنه لا غرابة أن نرى عالماً لسانياً أمريكياً معاصراً هو نوم تشومسكي يقف وقفة دهشة وعجب من التراث العربي اللغوي(النحوي والدلالي)، عندما قرأ وعلق على عملٍ لسانيٍّ كنتُ قد تقدمت به كرسالة للدكتوراه.ففي رسالة بعثها إليّ في ٢٦ نيسان ١٩٨٢ قال فيها: إنه من الواضح أن هذه الدراسة هي دراسة جدية ورائعة ومهمة فقد غطت منطقة واسعة من البحث اللساني وشملت أفكاراً هامة جداً. لقد دهشت بشكل خاص من تلك التعليقات اللغوية التي وردت في ثنايا هذه الدراسة والتي كان قد قالها العرب القدامى. إن هذا وحده يجعل هذه الدراسة إسهاماً قيماً جداً لتطوير الدراسات اللسانية الغربية بغض النظر عن العمل اللساني المطبق على التراكيب العربية والذي يبدو مهماً جداً.

ثانياً :ومن خلال حديث شخصي مع الباحث الدكتور أحمد المتوكل أستاذ الدلاليات الحديثة في قسم اللغة الفرنسية في جامعة محمد الخامس في الرباط كان قد قال لي: بأنه أرسل رسالة الدكتوراه التي وضعها والتي تدور حول النظرية الدلالية عند العرب القدامى إلى عالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي وقد كان تعليق تشومسكي عليها في رسالة بعثها إلى الدكتور المتوكل): بأن ما قاله العرب القدماء في حقل الدلاليات يعد فكراً فلسفياً عميقاً لا بد من الأخذ به في الفكر الدلالي المعاصر. وقد وعد تشومسكي المتوكل بأنه سيعتمد هذه النظرية في الأعمال التي
سيقوم بها في المستقبل. [٤١]

ب-نظرية النحو التوليدي التحويلي.

أما السؤال الثاني فيستلزم الرّجوع إلى (مازن الوعر)، و(ميشال زكريا) والفهري عبد القادر ونستقرأ أعمالهم العلمية، باعتبار أنهم طبقوا نظرية تشومسكي على اللغة العربية، وكانت لهم آراء متباينة نقف على نموذج لميشال زكريا فقط :

١- ميشال زكريا:

---

[٤١] - جاسم علي جاسم –تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي – معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية- المقال موجود في الموقع الإلكتروني لصاحبه jjassem@hotmail.com، أنظر أيضا تشومسكي في عيد ميلاده السبعين :المزيني، حمزة بن قبلان- صحيفة الرياض السعودية- الخميس ١٤٢٠/١٠/٢٧هـ، و 25/8/1420هـ. ص: ٤ / ٣. والعنوان الالكتروني هو
http://www.hmozainy.jeeran.com/tshomesky4.htm و
http://www.hmozainy.jeeran.com/tshomesky2.htmص:٧.

من أبرز المهتمين بنظرية تشومسكي ميشال زكريا، وهو وإن كان مهتما بهذه النظرية، فإنه ينظر إلى التراث نظرة إعجاب يقول عن الخليل وسيبويه (أعمالهم العلمية):هو أن اللغويين الأوائل أمثال الخليل وسيبويه وابن جني، على سبيل المثال لا الحصر، قد حلّلوا اللغة من منطلقات علمية بالإمكان اعتبارها متطورة جدّا بالنسبة لعصرهم[٤٢]هذا الحكم وقف عليه نتيجة دراسة عميقة لنظرية تشومسكي التي مهّدت السبيل لمعرفة ما يحتويه التراث الخليلي من مفاهيم علمية رائدة، ويرى ميشال زكريا أن الخليل وسيبويه قاما بواجبهما، فيما أخفقنا نحن عندما توقفنا عن مواصلة التطور اللغوي،فبقيت المفاهيم الخليلة غير قادرة على مواكبة التطورات اللغوية، فاللغة العربية لم تعد اللغة التي قعّدها الخليل وسيبويه يقول:لابد من أن نقول هنا بمنتهى الصراحة والموضوعية إنّ لا نفع بعد الآن، في أن نردد بصورة متواصلة الدراسات التي قامت بها الأجيال السابقة والمفاهيم التي تبنوها في المجالات اللغوية، وإن أضفينا عليها بعض التعديلات السطحية من حيث الشكل والعرض، فهذه الدراسات وإن دلّت على المجهود الذي قام به اللغويون في مجال دراسة اللغة، وإن كانت تساعدنا على فهم بعض القضايا اللغوية، لم تعد تفي في الحقيقة في مجال تحليل اللغة[٤٣].ويمكن اعتبار هذا نوع واحد من المبررات التي جعلت ميشال يجتهد في إسقاط مفاهيم نظرية تشومسكي على العربية، باعتبارها الأقرب والأنسب بالمقارنة مع بقية النظريات اللغوية الأخرى.

وسأعرض جانبا واحدا يفي بغرض التّصور المحتمل لهذه الدراسة، لأنه لا يمكن الوقوف على تطبيقاته كلها فهي مبثوثة في الكتب اللسانية الحديثة، أو الرجوع إلى كتابه الموسوم،(الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية النظرية الألسنية).

ينطلق الباحث من مفهوم الجملة،باعتبارها الركيزة الأساسية، لتطبيق المفهوم التحويلي التوليدي يقول:إن النحويين العرب، بعد أن يعرفوا الجملة بالسكوت الذي يحدها، ينظرونإليها منحبث عناصرها المؤلفة، فبقولون إن الجملة، مكوّنة من مسند ومن مسند إليه، ما أنهم يقسمون الجمل إلى جملة اسمية وإلى فعلية[٤٤]

أ-جملة اسمية ← # اسم..... #

ب-جملة فعلية ← # فعل..... #

ثم يطرح الجملتين للتحليل(٥)

أ- أكل الرجل التفاح

---

[٤٢]- ميشال زكريا - الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية النظرية الألسنية- ، ص ٥:

[٤٣]- المرجع نفسه: ص :٥

[٤٤]- المرجع نفسه: ص :٢٤

ب- ب-الرجل أكل التفاحة

يقول:من الواضح أن الجملتين(٥-أ)و(٥-ب) تحتويان على العناصر ذاتها وعلى العلاقات نفسها القائمة بين هذه العناصر ونتيجة ذلك نعتبر أن الجملتين في (٥)مرتبطتان في ما بينها بصورة وثيقة، أي تجمع بينهما علاقة تحولية،فترتدان، بالتالي إلى بنية واحدة في المستوى العمقي.ففي الحالات المشابهة لهذه الحالة، يمكن إما اعتبار الجملة(٥-أ)متحولة من الجملة(٥-ب)وإما الجملة(٥-ب) متحولة من الجملة(٥-أ)وإما اعتبار أن الجملة(٥)متحولتين من جملة واحدة ليست بالضرورة إحدى الجملتين في(٥)ولابد لاعتماد الاحتمال الملائم من دراسة ترتيب العناصر اللغوية في البنية العميقة[٤٥]وهو يعني الترتيب الأصلي للجملة الذي طرحه الخليل وهو:

١-فعل +فاعل+ مفعول به
٢- فعل + مفعول به+ فاعل
٣- فاعل+ فعل + مفعول به
٤- فاعل+ مفعول به+ فعل
٥- مفعول به+ فاعل+ فعل
٦- مفعول به+ فعل + فاعل[٤٦]

ويقابل في الترتيب الهيكلي للجملة بجملة ذات دلالة غير مستقرة في بعض التراكيب ومستقرة في البعض الآخر

(١) -أكل الرجل التفاحة. ⟵ -فعل +فاعل+ مفعول به
(٢)-أكل التفاحة الرجل. ⟵ - فعل + مفعول به+ فاعل
(٣)- الرجل أكل التفاحة. ⟵ - فاعل+ فعل + مفعول به
(٤)- الرجل التفاحة أكل. ⟵ - فاعل+ مفعول به+ فعل
(٥)- التفاحة أكل الرجل. ⟵ - مفعول به+ فاعل+ فعل
(٦)- الرجل التفاحة أكل. ⟵ - مفعول به+ فعل + فاعل

وهنا الحركة الإعرابية التي تفصل بين الفاعل والمفعول به، وهي ظاهرة منطقيا،والعلامة تعني الجمل غير الأصولية التي تدخل في نظام اللغة، وهناك جملتان مقبولتان فقط هي التالي:

(١) (فعل +فاعل+ مفعول به) (أكل الرجل التفاحة)

---

[٤٥]- ميشال زكريا - الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية النظرية الألسنية- ، ص :٢٤

[٤٦]- المرجع نفسه: ص :٢٦

(٣) (فاعل+ فعل + مفعول به) (الرجل أكل التفاحة)

نلاحظ أن الترتيب المقبول في (٩-ب) وفي (١٠-ء) يلائم في الظاهر التمييز بين الجملة الفعلية وبين الجملة الاسمية[٤٧]

هكذا نستطيع بسهولة تفسير العلاقة التي تربط بينالجمل وكيفية الحصول على الجملتين في (١٧) تباعا من الجملتين في (١٥) فالقواعد التي تتضمن قاعدة إعادة الكتابة(٢٠) والتحويل (٢١) على سبيل المثال الجملة(١٧-ء) على النحو التالي:

(٢٢) اشتقاق(١٧-ء)

- البنية العميقة:

-أكل الرجلان التفاحة

- تحويل نقل الاسم إلى موقع الابتداء

الرجلان أكل الرجلان التفا {+ضمير}

البنية السطحية:

- الرجلان أكلا التفاحة.

تعتبر من التراكيب غير الأصولية مع أنها تدخل في نظام اللغة العربية، فنقول مثلا في الأول:١- فعل + مفعول به+ فاعل إنما يخشى اللهَ العلماءُ

٢- مفعول به+ فعل + فاعل اللهَ أدعو

فميشال زكريا انطلق من احتمال واشتقاق تركيبي دون النظر إلى مرونة اللغة العربية في قضايا التقديم والتأخير والمقاصد الدلالية من ذلك، والرجوع إلى المدونة كما فعل النحاة الأولون.

خلاصة البحث:

وما نستخلصه هو أن العربية غير الانجليزية فهي لا تدرك إلا بآليات خاصة بها، ويمكن تطويرها لأنها فعلا بحاجة إلى ذلك من خلال الرجوع إلى الأصل، والبناء عليه بما يتلاءم مع خصوصيتها كما فعل الحاج صالح، فلو كان إسقاط المناهج الغربية من وظيفية وتشومسكية يفضي إلى نتائج كاملة متكاملة لكان الحاج صالح أولى من يقوم بذلك، لذلك عدل عن هذا الشيء، وركّز على ترقية اللغة العربية، وتطعيمها بشيء من الحديث بما يتفق مع روحها.

[٤٧]- ميشال زكريا - الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية - ، ص :٢٧

المصادر والمراجع العربية:

الزركلي - الأعلام- دار العلم للملايين -بيروت-
معجم المؤلفين - الذهبي – دار القلم والهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٦٧
ياقوت الحموي ومعجم الأدباء (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا، تا)
الثعالبي : فقه اللغة وأسرار العربية (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لا، تا)
قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث مدخل: الوعر، مازن- دمشق- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- الطبعة الأولى،1988م.
السيوطي –المزهر تحق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٤
عبد الرحمان الحاج صالح – السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة- منشورات المجمع اللغوي
عبد الرحمان الحاج صالح – بحوث ودراسات في اللسانيات العربية- منشورات المجمع اللغوي
محمد عماد الدين إسماعيل -الأطفال مرآة المجتمع- علم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- العدد ٩٩، يناير السنة١٩٩٠
محمد عماد الدين إسماعيل -الأطفال مرآة المجتمع- علم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- العدد ٩٩، يناير السنة١٩٩٠
سبب وضع علم العربية ، السيوطي ، تحق : مروان العطية ، دار الهجرة ، دمشق ، ط : ١ ، ١٩٨٨
إبراهيم كونغ الجو -رأي المدرسة التوليدية التحويلية في تحليل الأصوات- مجلة اللسان العربي- دورية نصف سنوية، تُعنى بنشر الأبحاث اللغوية والدراسات المتعلقة بقضايا المصطلح والترجمة والتعريب، ومشروعات معاجم المصطلحات،المملكة المغربية،يونيو ٢٠٠١
حسن عبد الغني جواد الأسدي- مفهوم الجملة عند سيبويه-دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،ط/١،السنة ٢٠٠٧،
ابن هشام -مغني اللبيب- تحق مازن المبارك وآخر ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٨٥ ، ط : ٦
ميشال زكريا - الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية النظرية الألسنية- الكتاب ، سيبويه ، تحق : عبد السلام هارون ، دار القلم والهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٦م

ر.ه.روبنز – موجز تاريخ علم اللغة في الغرب- سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت-
الأجرومية: هو كتاب مختصر مشهور في النحو العربي لمؤلفه ابن آجروم(القرن الثامن الهجري) ونقل إلى للآتنية في القرن ١٦ الميلادي
مازن الوعر -حوار مع العامل اللساني تسومسكي(مجلة اللسانيات-مجلة محكّمة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر-معهد العلوم اللسانية والصوتية سابقا، مركز الأبحاث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية حاليا)العدد ٦ السنة ١٩٨٢

المراجع الأجنبية:

chomsky&M.Halle,TheSound Pattern of English,P.4– N
N.Chomsky,Aspects de le théorie syntaxique,p.68
N.Chomsky,On WH.Movement"in Formal Syntas. Wasow; Culicover and Akamajian eds.Ndw York;AcademicPress;1977 ,p.75

المجلات العلمية:

- محمّد كشّاش-مصطلح النحو العربي *بين* الأصل المادي والتطور الدلالي -مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد ٦٨ - السنة السابعة عشرة - آب "أغسطس" ١٩٩٧ - ربيع الآخر1418
- (مجلة اللسانيات-مجلة محكّمة في علم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر-معهد العلوم اللسانية والصوتية سابقا، مركز الأبحاث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية حاليا)العدد ٦ السنة ١٩٨٢

المواقع الإلكترونية:

- جاسم علي جاسم –تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي – معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية- المقال موجود في الموقع الإلكتروني لصاحبه jjassem@hotmail.com، أنظر أيضا تشومسكي في عيد ميلاده السبعين :المزيني، حمزة بن قبلان- صحيفة الرياض السعودية- الخميس ١٤٢٠/١٠/٢٧هـ، و25/8/1420 هـ. ص: ٤ / ٣. والعنوان الالكتروني هو http://www.hmozainy.jeeran.com/tshomesky4.htm
- جاسم علي جاسم –تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي – معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية- المقال موجود في الموقع الإلكتروني لصاحبه jjassem@hotmail.com، أنظر أيضا تشومسكي في عيد ميلاده السبعين :المزيني، حمزة بن قبلان- صحيفة الرياض السعودية-

الخميس ١٤٢٠/١٠/٢٧هـ، و25/8/1420 هـ. ص: ٤ / ٣.والعنوان الالكتروني هو http://www.hmozainy.jeeran.com/tshomesky2.htm